بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 25-11-2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَّال**

سلسلة قرأتُ في كتاب

((درسان من الهجرة))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدْ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله.

أرسلهُ ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته وأستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:40].

قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**)) [رواه البخاري].

وفي رواية ابن ماجه: ((**وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَنْ هَجَرَ الخَطَايَا والذُّنُوب**)).

قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**الْهِجْرَةُ: أَنْ تَهْجُرَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ**)) [رواه أحمد].

هذه هي الخطبة الثالثة عشرة في سلسلة: (قرأت في كتاب)، أختار لكم فيها فوائد منثورة في كتب قرأتها أو بعضها، ليفيد المرء علماً وعملاً.

ولئن كنت في الخطب الماضية أقرأ في كتب النَّاس، وقرأت لكم مرةً في كتاب ربِّ النَّاس، فأنا اليوم -وبمناسبة دخول العام الهجري الجديد- أقرأ لكم في سيرة خير النَّاس النَّبي الأمِّي سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم، عنوان خطبة اليوم:

(درسان من الهجرة)

تعلمون أيها الإخوة أن الولاة في زمن سيِّدنا عمر رضي الله عنه كانت تكتب له، فيردُّ عليهم: حصل هذا في شعبان، حصل هذا في رمضان، حصل هذا في شوال.

فكتب الولاة لعمر: إنَّنا لا نفهم منك، أيَّ شوالٍ تقصد، وأيَّ شعبان، فلو جعلتَ لنا شيئاً نفيء إليه نؤرخ.

فاجتمع رضي الله عنه مع الصَّحابة وأهل الرَّأي والمشورة، ورأوا أن يختاروا حدثاً يؤرخون به من ثلاثة أمور: مولِدِ النَّبي صلى الله عليه وسلم وهجرته ووفاته، فأعرضوا عن المولد والوفاة، واختاروا الهجرة، ورأوها يوماً فرَّق الله به بين الحق والباطل، وأقام به بعده دولة الإسلام، ثمَّ أجمع على اختيارهم المسلمون.

أيها الأخوة:

في حادثة الهجرة دروسٌ كثيرةٌ وعبرٌ وفيرةٌ، أختار لكم منها درسين يسمح بهما الوقت، ويأذن بهما المقام.

الدَّرس الأوَّل: المؤمن مبتلى، وعليه أولَ شيءٍ أن ينجو بدينه.

فهذا هو النَّبي صلى الله عليه وسلم وصحابتُه الكرام يهاجرون من مكة تاركين دورهم وأموالهم وذكرياتِ حياتهم، منطلقين إلى دارٍ قبل اليوم لم يألفوها، وإلى أرضٍ قبل اليوم لم يعرفوها.

ولولا اللهُ ودينُه لم يخرجوا، ولولا إسلامهم لم يهاجروا، ويلتفتُ النَّبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة قبل انصرافه يخاطبها:

((والله إنَّكِ لأحبُّ أرض الله إلى الله، وإنَّكِ لأحب أرض الله إليَّ، ولولا أنَّ أهلك أخرجوني منك ما خرجتُ)).

قالت أم سلمة رضي الله عنها: لما أزمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة، رحّل لي بعيره، ثمَّ حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حِجْري، ثمَّ خرج بي يقودُ

بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيتَ صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟.

قالت: فنزعوا خِطام البعير من يده، وأخذوني منه.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبدِ الأسد، رهطِ أبي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابني سلمة بينهم، حتَّى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم.

وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، فَفُرِّق بيني وبين ابني وبين زوجي.

فكنت أخرج كلَّ غداةٍ فأجلس في الأَبْطَح، فما أزال أبكي حتَّى أُمسي، سنةً أو قريباً منها.

حتَّى مرَّ بي رجل من بني عمي، أحدُ بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني، وقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها.

فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت، فردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني، فارتحلت بعيري ثمَّ أخذتُ ابني فوضعته في حجري، ثمَّ خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله.

حتَّى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمَّان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟، قلت: أريد زوجي بالمدينة.

قال: أو ما معك أحد؟، قلت: لا والله إلا الله وابني هذا.

فقال: واللهِ ما لك من مترك، فأخذ بخِطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فو الله ما صحبتُ رجلاً من العرب قطُّ، أرى أنه كان أكرمَ منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثمَّ استأخر عني، حتَّى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحطَّ عنه ثمَّ قيده في الشَّجرة، ثمَّ تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرّواح قام إلى بعيري فقدّمه فرحله ثمَّ استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبتُ واستويت على بعيري، أتى فأخذ بخطامه، فقاده حتَّى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتَّى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية -وكان أبو سلمة بها نازلاً- فادخُليها على بركة الله، ثمَّ انصرف راجعاً إلى مكة.

فكانت تقول: والله ما أعلمُ أهلَ بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قطُّ كان أكرمَ من عثمَّان بن طلحة.

أيها الأخوة:

إنَّ المؤمن مبتلى في هذه الحياة، يُبتلى بالصَّبر حيناً، وبالشُّكر حيناً أخر، وبالمرض حيناً، وبالصَّحة حيناً آخر، وبالفقر حيناً، وبالغنى حيناً آخر.

وهو في كل الأحوال يفكرُ أولَ ما يُفكر به في دينه، ويهمُّه أولَ ما يهمُّه أمرُ دينه، ويرجو أولَ ما يرجوه سلامةَ دينه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عَجَباً لأمر المؤمن! إنَّ أمْرَه كُلَّه له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابتْهُ سَرَّاءُ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابتْهُ ضرَّاءُ صَبَر، فكان خيراً له)) [رواه مسلم].

هذا هو الدَّرس الأول من درس الهجرة.

الدَّرس الثَّاني: **يفسد أهل الباطل ويسيؤون، ثمَّ يلقون باللوم على غيرهم.**

يروي أصحاب السِّيَر: (أن عتبةَ بن ربيعة، والعباسَ بن عبد المطلب، وأبا جهل بنَ هشام، مروا على دار بني جحش وقد خَلَت من أهلها ؛ فنظروا إلى الدور تخفق أبوابها، ليس بها ساكن، كلٌّ قد هاجر إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ثمَّ قال عتبة: أصبحت الدُّور خلاءً من أهلها، وأنشأ:

وكل دار وإن طالت سلامتها   يوماً ستدركها النكباء والحُوبُ

فقال أبو جهل: هذا عمل ابن أخيك، فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وقطع بيننا!).

سبحان الله هذا هو شأن أبي جهل وأتباع أبي جهل، يجرمون يؤذون ويفسدون، ثمَّ يرمون بالوزر غيرهم، يريدون قهر المؤمنين، فإذا أظهر المؤمن اعتزازه بدينه وأبى الذّلة، جعلوا إظهار عزته مشكلةَ المشكلات وبلية البليات.

ذكر الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء:

(أول من أظهر إسلامه سبعةٌ: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمَّار، وأمّه سميَّة، وصهيب، وبلال، والمقداد.

فأمَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمّه، وأمَّا أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأمَّا البقية، فألبسهم المشركون أدراع الحديد، وصَفَّدُوْهم في الشَّمس، وجاء أبو جهل يشتم سميَّة، وجعل يطعن بحربته في قُبُلها حتَّى قتَلها، فكانت أوَّلَ شهيدة في الإسلام.

وكان عمَّار يُعذَّب حتَّى لا يدري ما يقول، وكذا صهيب، وفيهم نزلت:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:42،41].

أيها الأخوة:

هذا درسان اثنان قرأتهما من دروس الهجرة الكثيرة.

1) **المؤمن مبتلى، وعليه أوَّل شيء أن ينجو بدينه.**

2) **يفسد أهل الباطل ويسيؤون ثمَّ يلقون باللوم على غيرهم.**

أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.**

وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)). [ابن مردويه وابن كثير]

والحمد لله رب العالمين